

الأخلاق - الواجب		
الواجب والإكراه	الوعي الأخلاقي	الواجب والمجتمع
- يتميز السلوك الإنساني عن السلوك الحيواني ببعده الأخلاقي والواعي فالإنسان كائن أخلاقي بامتياز بحيث تتبدى الأخلاق في سلوكه ولعل ما يدفع الإنسان لك يكون كائنا أخلاقيا هو ذلك الوازع الذي يدفعه الى الامتثال الى القوانين الأخلاقية انه وازع الواجب . فما نعني بالواجب؟ * لقد شكل المشروع الفلسفي الأخلاقي الكانطي ثورة في مجال الأخلاق وذلك من خلال تصوره لمفهوم الواجب فان كانت التصورات الفلسفية الأخلاقية التقليدية تربط مصدر الواجب بما هو خارجي فان "كانط" ينظر للواجب كوازع داخلي انه تعبير عن نداء الضمير والإرادة الطيبة وهذا ما يجعل منه مصدرا للحرية والالتزام والمسؤولية مما يجعل الإنسان يتحرر من كل مظاهر الضرورة والإكراه وهكذا ما يجعل الإنسان يسمو ببعد أخلاقي عن كل الكائنات الطبيعية الأخرى اذن واعتبارا لهذا الواجب الأخلاق يحسب كاتك هو مصدر للحرية والإرادة والالتزام. * ينخرط الفيلسوف الانجليزي "دافيد هيوم" في ذات الاشكالية المتعلقة بمفهوم الواجب والإكراه بحيث يربط الواجبات الأخلاقية بالواقع والتجربة الواقعية وفي هذا الصدد نجده يربط الواجبات الأخلاقية بمصدر طبيعي والآخر اجتماعي النية للنوع الأول نجد الواجبات الأخلاقية ترتبط بالغريزات الطبيعية او الميل المباشر مثل حب الأطفال او شكر المحسنين او العطف على المعوزين او انقاذ شخص في حالة خطر ان هذا الصنف من الواجبات الأخلاقية يكون مرتبطا بنبوغ من الميل المباشر الذي هو تعبير عن الحرية والإرادة إما النوع الثاني من الواجبات فهو الذي يرتبط بالإحساس بالالتزام لا غير وهو إحساس يرتبط بضرورات اجتماعية اذن في حالة إهمال تلك الواجبات سيكون من المستحيل المحافظة على توازن المجتمع ووحدته واستمراره ان هذا النوع من الواجبات يرتبط أساسا بالالتزام والضرورات الخمس .	- ان الوعي الأخلاقي هو خاصية تسمح للعقل الإنساني ان يصدر احكاما معيارية عفوية على القيمة الأخلاقية لبعض الأفعال الفردية عندما يتعلق هذا الوعي بالأفعال المقبلة للذات الفاعلة فانه يتحول الى صوت يأمر ويدافع اما اذا يتعلق بالأفعال المادية فانه يأخذ شكل احساسات. ماهو مصدر الوعي الأخلاقي ؟ * يؤسس الفيلسوف "ايريك فايل" تصوره لمسألة الوعي اذ ينظر الى هذا الوعي انطلاقا من منظور عقلاني فلا تناقض بين العقل والأخلاق عن طريق العقل نتجاوز النزوات ونتمكن من بناء الكون على حساب ماهو خاص في الوعي الأخلاقي يتأسس اذن على العقل وذلك عندما يتجاوز الإنسان ذاتيته لكي يصبح كونية فالأخلاق تأكد ان الإنسان يتحدد كإنسان الامن من خلال كونه كائنا عاقلا وأخلاقيا واعتبارا لهذا يصب موضوعا لاحترام ان العقل اذن هو اساس الوعي الأخلاقي مادام يشكل قاعدة للارادة والحرية الإنسانية . * ينضم الفيلسوف النمساوي "فرانس برانتانو" الى المساهمة في النقاش الدائر حول اشكالية الوعي الأخلاقي اذ يرى ان هذا الوعي يرتبط بشروط خارجية انه تعبير عن الإرادة الخارجية المتمثلة في مجموعة من القوانين الإلزامية . اذا كان الإنسان يعيش في المجتمع فان المجتمع من اجل ان يستمر وان يحافظ على وحدته وتماسكه فانه يخضع لجملة من التوازنات هذه التي تتحدد بجملة من القوانين والضوابط . فالأفراد اذن هم ملزمون بالخضوع لتلك الضوابط والقوانين وعليه فان الوعي الأخلاقي يتأسس انطلاقا من شروط خارجية وهي شروط تتلون بلون الأوضاع الاجتماعية التي تعبير عن الأوضاع الخارجية ان القو بالالزام يجعل الوعي الأخلاقي يتبط بحتميات اجتماعية هي تعبير عن التجربة والمحيط الخارجيين هكذا اذن يستمد الوعي الأخلاقي مبداه ليس من قاعدة اخلاقية ولكن من ارادة خارجية . * من خلال تصور الفيلسوف	- ان الحديث عن مفهوم الواجب الأخلاقي يدعوني بالضرورة الى الحديث عن المجتمع فكيف تتحدد اذن علاقة الواجب الأخلاقي بالمجتمع ؟ بعبارة أخرى من اين يستمد المجتمع سلطته الأخلاقية ؟ * في هذا السياق نجد عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دور كايم" يبنى تصوره حول علاقة المجتمع بالسلطة الأخلاقية ومن ثم بالواجب الأخلاقي اذ يرى ان المجتمع تتمثل قوته في سلطته الأخلاقية هذه التي تتحكم في سلوك الأفراد . فالظاهرة الاجتماعية هي اذن ظاهرة قهرية على الأفراد الخضوع لها وذلك من خلال خضوعهم للسلطة الأخلاقية الثقافية والاجتماعية وهكذا فالأفراد حينما يسلكون فانهم يسلكون بمقتضى هذه القواعد الأخلاقية ذات الطبيعة الإلزامية و الإكراهية . وعليه فإن المجتمع حسب هذا المنظور السوسيولوجي عند اميل دور كايم يشكل سلطة تتجاوز الأفراد بل انها تخضع الأفراد لمنطقها وذلك باسم الواجب والقوانين الأخلاقية التي يتوجب على الذوات الاجتماعية احترامها. * في ذات السياق ينخرط الفيلسوف الفرنسي "هنري بيرغسون" الذي يرى ان السلطة الأخلاقية في المجتمع وان كانت تعبيرا في ظاهرها على الإرادات الحرة في الأفراد فإنها في باطنها تشكل سلطة قاهرة تخضع الأفراد لمنطقها ان المجتمع اذن هو حصيلة تفاعل إرادة وحرية الأشخاص غير انها تأخذ عن بعدها العميق شكل إكراهات والزامات وانها باختصار السلطة الأخلاقية للمجتمع التي على الأفراد الامتثال لها باسم الواجب الأخلاقي . * ينظم الفيلسوف الألماني "فريدريك انجلز" الذي يأسس تصوره لمفهوم الواجب والسلطة الأخلاقية داخل المجتمع انطلاقا من منظور مادي تاريخي هو حصيلة جدل بين الأفكار والمنظومات الثقافية وكذا الواقع الاجتماعي والاقتصادي اذ خلص الى اعتبار انه ليست هناك أفكار ثابتة ولا

اخلاق ثابتة فالافكار والمنضومات الاخلاقية تتغير تبعا لتغيرات المجتمعات وتبعا لتغير البنية التحتية التي هي حسيطة للواقع المادي والاقتصادي. هكذا اذن ومن هذا المنظور المادي مع انجلز نلمس بأن ليس هناك افكار ثابتة ولا اخلاق مطلقة بل ان المنظومات الفكرية والثقافية والاخلاقية تتغير تبعا لتغير المجتمع من خلال سيرورته المادية والاقتصادية . - اعتبارا لما سبق يمكننا ان نخلص الا ان اشكالية الواجب والمجتمع قد شكلت مسألة اهتمت بها التناولات الفلسفية المختلفة فالمجتمع يفرض سلطته على الدوات الاجتماعية من خلال منظومات القيم والاخلاق هذه التي تتحول الى واجبات على الافراد الامتثال لها. قد نعتقد اننا احرار في المجتمع ولكن الحقيقة هي اننا خاضعون لسلطة المجتمع انطلاقا من سلطة المجتمع الاخلاقية المتمثلة في الواجب الاخلاقي.	الاسلامي " ابن مسكويه " نقف عند تصور اخر حول اشكالية الوعي الاخلاقي فالفيلسوف ينظر الى أن الوعي الاخلاقي يرتبط بالبيئة الخلقية ونعني به الطبع والطبيعة ان اذن يرتبط بالمزاج الذي هو تعبير عن الميل والغريزة بحيث نجده يتعارض مع العقل لكن الخلق يمكن ان يتحول الى قاعدة اخلاقية أساسها القيم الفاضلة وذلك متى يتم إخضاعه للتهذيب والتأديب ونلمس من خلال تصور " ابن مسكويه " دعوة صريحة إلى ضرورة التربية في تهذيب الخلق حتى يتحول إلى مبدأ للوعي الاخلاقي أساسه الأخلاق الحسنة والقيم الفاضلة.	* ينضم الفيلسوف الألماني " هيجل " الى هذا السجل المتعلق باشكالية الواجب والإكراه، في الغالب ما ننظر الى المصلحة الشخصية والمصلحة العامة كمفهومين متعارضين غير ان " هيجل " ينظر إليهما كمفهومين متكاملين وذلك من خلال مفهوم الواجب هذا الذي يشكل تركيبا عقلانيا بين المصلحة الخاصة والعامة فالشخص حينما يقوم بواجباته اتجاه الدولة فهو يميل إلى تحقيق ذاته من خلال انصهار ما هو فردي في ما هو عام .وبذلك تتحقق الفكرة المطلقة التي هي تركيب بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي وما هو خاص وما هو عام ما هو فردي وما هو جماعي ... فالشخص حينما يحقق مصلحته الخاصة فهو في ذات الآن يحقق المصلحة العامة فلا تعارض إن بين الواجبات الخاصة والواجبات العامة فالواجب إذن هو الامتثال من قبل الأفراد لروح الشعب وفي ذلك امتثال للروح المطلقة التي هي تجسيد للحرية.
---	---	---